الصحيح من النظم الفصيح

لشيخ الإسلام ابن تيمية

جمع
فضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن برجس العبد الكريم
رحمه الله
١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله.

أما بعد:

فإني لما أنهيت الكلام على بطلان الديوان المنسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية اقترح عليَّ بعض أهل الفضل أن ألحق بذلك الصحيح من نظم شيخ الإسلام ابن تيمية، ليكتمل النفع، ولينبذ ذلك الديوان المفترى فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه.

واستجابة لذلك جمعت ما نظمه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذه الوريقات، مرتبًا لها على النحو التالي:

١- قصائد منظومة في باب العقائد.

٢- أبيات منظومة في باب الفقه.

٣- ألغاز منظومة أجاب عنها بنظم.

٤- أبيات منظومة في أغراض متعددة.

٥- الأبيات التي كان يتمثل بها شيخ الإسلام وليست له.

وقد اجتهدت في وضع عنوان لكل قصيدة أو مقطوعة يتفق مع مضمونها.

وإني لأهيب بالإخوة المتخصصين في الأدب دراسة شعر ابن تيمية ، وما جاء من كلام له حول الشعر ، فإن له كلامًا جميلًا حول الشعر من حيث معناه ، وأغراضه ، وحكمه ، ومحاربة غير الفصيح منه . إلى غير ذلك مما تراه في فهرست «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣٧/ ٤٧٧) .

وقد حاولت إحدى الباحثات ذلك ، فخرجت برسالة «ماجستير» من جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، عنوانها : «تراث ابن تيمية الأدبي والنقدي» عام ١٤١٠هـ ، إلا أن الضعف بادٍ على الرسالة في عدم الاستقصاء ، وسطحية البحث .

أسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

كتب ذلك

د . عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

١٠/ ١/ ١٤١٨هـ

❋ ❋ ❋

قصائد منظومة في باب العقائد

[مجمل الاعتقاد]

البحر الكامل[١]

يا سائلي عـن مـذهبي وعقيـدتي
رُزِقَ الهدىٰ مَـنْ للهداية يَـسْأَلُ
اســمع كــلامَ مُحَقِّــقٍ في قولــهِ
لا يَنْثَنِـــي عنـــه ولا يَتَبَـــدَّلُ
حُبُّ الصحابَةِ كُلِّهِمْ لي مَـذْهَبٌ
ومَــوَدَّةُ القُرْبــىٰ بهــا أَتَوَسَّــلُ
ولِكُلِّهِــمْ قَــدْرٌ وفـضلٌ ساطعٌ
لَكِـنَّما الـصِّدِّيقُ مـنهم أَفْـضَلُ
وأَقولُ في القُرْآنِ مـا جـاءَتْ بِـهِ
آياتُــهُ فَهْــوَ القــديمُ المُنْــزَلُ
وجميـع آيـاتِ الـصِّفاتِ أُمِرُّهـا
حَقًّـا كـما نَقَـلَ الطِّـرازُ الأَوَّلُ
وأَرُدُّ عُهْـــدَتَها إلىٰ نُقَّالِهـــا
وأَصُـونُها عـن كُـلِّ مـا يُتَخَيَّـلُ

---

(١) بيان بحور هذه الأشعار كلها من وضع أحد المختصين -جزاه الله خيرًا .

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القُرانَ وَرَاءَهُ
وإذا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قالَ الأَخْطَلُ
والمُؤْمِنونَ يَرَونَ حَقًّا رَبَّهم
وإلى السماء بغيرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
وأُقِرُّ بالِميزانِ والحَوْضِ الذي
أَرْجُو بِأَنِّي مِنهُ ريًّا أَنْهَلُ
وكَذا الصراطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمٍ
فَمُوَحِّدٌ ناج وآخَرُ مُهْمَلُ
والنارُ يَصلاها الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ
وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنانِ سَيَدْخُلُ
وَلِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ فِي قَبْرِهِ
عَمَلٌ يُقارِنُه هناك ويُسْأَلُ
هذا اعتقادُ الشافعي ومالكٍ
وأبي حنيفةَ ثُمَّ أحمدَ يُنْقَلُ
فإن اتَّبَعْتَ سبيلَهم فَمُوَفَّقٌ
وإنِ ابْتَدَعْتَ فما عَلَيْكَ مُعَوَّلُ[1]

---

(١) «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» للألوسي (ص٥٨)، ومنها نسخة خطية في جامعة الملك سعود برقم (١٩٢٨/ ٦)، سنة ١٣٥٣هـ، وقد شرح هذه المنظومة: أحمد بن عبد الله المرداوي في رسالة أسماها: «اللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية» مطبوعة في مؤسسة النور بالرياض، عام ١٣٥٨هـ.

[القدر]

سأل أحدهم شيخ الإسلام عن القدر بنظم هذا نصه :

البحر الطويل

أَيَا عُلَمَـاءَ الـدِّينِ ذِمِّيُّ دِيـنِكُمْ
تَحَيَّـرَ دُلُّـوهُ بِأَوْضَـح حُجَّـةِ
إِذَا مَـا قَـضَىٰ رَبِّـي بِكُفْـرِي
وَلَـمْ يَرْضَـهُ مِنِّـي ، فَمَـا وَجْـهُ
دَعَانِي وَسَدَّ الْبَابَ عَنِّي ، فَهَلْ
دُخُولِي سَبِيلٌ؟ بَيِّنُوا لِي قَضِيَّتِي
قَـضَىٰ بِـضَلَالِي ثُـمَّ قَالَ ارْضَ
فَمَا أَنَا رَاضٍ بِالَّذِي فِيـهِ شِـقْوَتِي
فَـإِنْ كُنْـتُ بِالْمَقْـضِيِّ يَـا قَـوْمُ
فَرَبِّـي لَا يَرْضَـىٰ بِـشُؤْم بَلِيَّتِـي
فَهَلْ لِي رِضًا ، مَا لَيْسَ يَرْضَـاهُ
فَقَدْ حِـرْتُ دُلُّـونِي عَلَـىٰ كَـشْفِ
إِذَا شَاءَ رَبِّي الْكُفْرَ مِنِّـي مَـشِيئَةً
فَهَلْ أَنَا عَاصٍ فِي اتِّبَاعِ الْمَشِيئَةِ؟
وَهَـلْ لِـي اخْتِيَـارٌ أَنْ أُخَـالِفَ
فَبِاللَّـهِ فَاشْـفُوا بِـالْبَرَاهِينِ غُلَّتِـي

فأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية مرتجلًا :

[الحمد لله رب العالمين]

البحر الطويل

سُـــؤالُكَ يـــا هـــذا سُـــؤالُ مُعَانِـــدٍ
مُخَاصِمِ رَبِّ الْعَرْشِ بَـارِي الْبَرِيَّـةِ
فَهَـذَا سُـؤَالٌ ، خَاصَـمَ الْمَـلأَ الْعُـلَا
قَـدِيمًا بِـهِ إِبْلِـيسُ أَصْـلُ الْبَلِيَّـةِ
وَمَنْ يَـكُ خَـصْمًا لِلْمُهَـيْمِنِ يَـرْجِعَنْ
عَلَـىٰ أُمِّ رَأْسٍ هَاوِيًـا فِـي الْحَفِـيرَةِ
وَيُـدْعَىٰ خُـصُومُ اللَّـهِ يَـوْمَ مَعَـادِهِمْ
إِلى النَّـارِ طُـرًّا مَعْـشَرَ الْقَدَرِيَّـةِ
سَـوَاءٌ نَفَـوْهُ ، أَوْ سَـعَوْا لِيُخَاصِـمُوا
بِـهِ اللَّـهَ أَوْ مَـارَوْا بِـهِ لِلـشَّرِيعَةِ
وَأَصْلُ ضَـلَالِ الْخَلْـقِ مِـنْ كُـلِّ فِرْقَـةٍ
هُوَ الْخَوْضُ فِـي فِعْـلِ الْإِلَـهِ بِعِلَّـةِ
فَـإنهمو لَـمْ يَفْهَمُـوا حِكْمَـةً لَـهُ
فَـصَارُوا عَلَـىٰ نَـوْعٍ مِـنْ الْجَاهِلِيَّـةِ
فَـإِنَّ جَمِيـعَ الْكَـوْنِ أَوْجَـبَ فِعْلَـهُ
مَشِيئَةُ رَبِّ الْخَلْـقِ بَـارِي الْخَلِيقَـةِ

وَذَاتُ إِلَـــهِ الْخَلْـــقِ وَاجِبَـــةٌ بِمَـــا
لَهَـا مِـنْ صِـفَاتٍ وَاجِبَاتٍ قَدِيمَـةِ
مَـــشِيئَتُهُ مَـــعْ عِلْمِـــهِ ثُـــمَّ قُـــدْرَةٌ
لَـوَازِمُ ذَاتِ اللَّـهِ قَاضِـي الْقَـضِيَّةِ
وَإِبْدَاعُـــهُ مَـــا شَـــاءَ مِـــنْ مُبْدعَاتِـــهِ
بِهَـا حِكْمَـةٌ فِيـهِ وَأَنْـوَاعُ رَحْمَـةِ
وَلَـــسْنَا إِذَا قُلْنَـــا جَـــرَتْ بِمَـــشِيئَةٍ
مِـنَ الْمُنْكِـرِي آيَاتِـهِ الْمُـسْتَقِيمَةِ
بَـــلِ الْحَـــقُّ أَنَّ الْحُكْـــمَ لِلَّـــهِ وَحْـــدَهُ
لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الَّذِي فِي الـشَّرِيعَةِ
هُوَ الْمَلِـكُ الْمَحْمُـودُ فِـي كُـلِّ حَالَـةٍ
لَهُ الْمُلْكُ مِنْ غَيْرِ انْتِقَـاصٍ بِـشِرْكَةِ
فَمَـــا شَـــاءَ مَوْلَانَـــا الْإِلَـــهُ فَإِنَّـــهُ
يَكُـونُ ، وَمَـا لَا ، لا يَكُـونُ بِحِيلَـةِ
وَقُدْرَتُـــهُ لَا نَقْـــصَ فِيهَـــا وَحُكْمُـــهُ
يَعُمُّ فَلَا تَخْصِيصَ فِي ذِي الْقَـضِيَّةِ
أُرِيـــدُ بِـــذَا أَنَّ الْحَـــوَادِثَ كُلَّهَـــا
بِقُدْرَتِهِ كَانَتْ ، وَمَحْـضِ الْمَـشِيئَةِ
وَمَالِكُنَـــا فِـــي كُـــلِّ مَـــا قَـــدْ أَرَادَهُ
لَهُ الْحَمْدُ حَمْدًا يَعْتَلِـي كُـلَّ مِدْحَـةِ

فَـإِنَّ لَـهُ فِـي الْخَلْـقِ رَحْمَتَـهُ سَـرَتْ
وَمِنْ حِكَمٍ فَوْقَ الْعُقُـولِ الْحَكِيمَـةِ
أُمُـورًا يَحَـارُ الْعَقْـلُ فِيهَـا إِذَا رَأَىٰ
مِـنَ الْحِكَـمِ الْعُلْيَـا وَكُـلَّ عَجِيبَـةِ
فَنُــؤْمِنُ أَنَّ اللَّـــهَ عَـــزَّ بِقُـــدْرَةٍ
وَخَلْـقٍ وَإِبْـرَامٍ لِحُكْـمِ الْمَـشِيئَةِ
فَنُثْبِــتُ هَـــذَا كُلَّـــهُ لِإِلَهِنَـــا
وَنُثْبِتُ مَا فِي ذَاكَ مِـنْ كُـلِّ حِكْمَـةِ
وَهَـذَا مَقَـامٌ طَالَمَـا عَجِـزَ الْأُلَـىٰ
نَفَـوْهُ وَكَـرُّوا رَاجِعِـينَ بِحَيْـرَةِ
وَتَحْقِيــقُ مَــا فِيــهِ بِتَبْيِــينِ غَــوْرِهِ
وَتَحْرِيرِ حَقِّ الْحَقِّ فِي ذِي الْحَقِيقَةِ
هُـوَ الْمَطْلَـبُ الْأَقْـصَىٰ لِـوارِدِ بَحْـرِهِ
وَذَا عَسِرٌ فِي نَظْـمِ هـذِي الْقَـصِيدَةِ
لِحَاجَتِــهِ إِلَـــىٰ بَيَـــانٍ مُحَقِّـــقٍ
لِأَوْصَـافِ مَوْلَانَـا الْإِلَـهِ الْكَرِيمَـةِ
وَأَسْـمَائِهِ الْحُـسْنَىٰ وَأَحْكَـامِ دِينِـهِ
وَأَفْعَالِـهِ فِـي كُـلِّ هـذِي الْخَلِيقَـةِ
وَهَـذَا بِحَمْـدِ اللَّـهِ قَـدْ بَـانَ ظَـاهِرًا
وَإِلْهَامُــهُ لِلْخَلْـقِ أَفْـضَلُ نِعْمَــةِ

وقــد قِيــلَ فِــي هَــذَا وَخَــطُّ كِتَابِــهِ
بَيَــانُ شِــفَاءٍ لِلنُّفُــوسِ الــسَّقِيمَةِ
فَقَوْلُكَ : لِمَ قَدْ شَاءَ ؟ مِثْلُ سُـؤَالِ مَـنْ
يَقُولُ : فَلِـمْ قَـدْ كَـانَ فِـي الْأَزَلِيَّـةِ
وَذَاكَ سُــؤَالٌ يُبْطِــلُ الْعَقْــلُ وَجْهَــهُ
وَتَحْرِيمُهُ قَدْ جَاءَ فِي كُـلِّ شِـرْعَةِ
وَفِي الْكَوْنِ تَخْصِيصٌ كَثِـيرٌ يَـدُلُّ مَـنْ
لَــهُ نَــوْعُ عَقْــلٍ أَنَّــهُ بِــإِرَادَةِ
وَإِصْــدَارُهُ عَــنْ وَاحِــدٍ بَعْــدَ وَاحِــدٍ
أَوِ الْقَـوْلُ بِـالتَّجْوِيزِ رَمْيَـةُ حَـيرَةِ
وَلَا رَيْــبَ فِــي تَعْلِيــقِ كُــلِّ مُـسَبَّبٍ
بِمَــا قَبْلَــهُ مِــنْ عِلَّــةٍ موجبيــة
بَل الشَّأْنُ فِي الْأَسْبَابِ أَسْبَابِ مَا تَرَىٰ
وَإِصْــدَارُهَا عَــنْ حُكْــمِ مَحْــض
وَقَوْلُكَ : لِـمْ شَـاءَ الْإِلَـهُ ؟ هُـوَ الَّـذِي
أَزَلَّ عُقُولَ الْخَلْـقِ فِـي قَعْـرِ حُفْـرَةِ
فَــإِنَّ الْمَجُــوسَ الْقَــائِلِينَ بِخَــالِقٍ
لِنَفْــع ، وَرَبٍّ مُبْــدِعٍ لِلْمَــضَرَّةِ
سُــؤَالُهُمُ عَــنْ عِلَّــةِ الــسِّرِّ ، أَوْقَعَـتْ
أَوَائِلَهُــمْ فِــي شُــبْهَةِ الثنويــة

وَإِنَّ ملاحيــد الْفَلَاسِــفَةِ الْأُلَــىٰ
يَقُولُــونَ بِالْفِعْــلِ الْقَــدِيمِ لِعِلَّــةِ
بَغَــوْا عِلَّــةً لِلْكَــوْنِ بَعْــدَ انْعِدَامِــهِ
فَلَــمْ يَجِـدُوا ذَاكُـمْ فَـضَلُّوا بِـضِلَّةِ
وَإِنَّ مبــادي الــشَّرِّ فِــي كُــلِّ أُمَّــةٍ
ذَوِي مِلَّــةٍ مَيْمُونَــةٍ نَبَوِيَّــةِ
بخوضهمو فِي ذَاكُمُ، صَارَ شِرْكُهُمْ
وَجَــاءَ دُرُوسُ الْبَيِّنَــاتِ بِفَتْــرَةِ
وَيَكْفِيــكَ نَقْــضًا أَنَّ مَــا قَــدْ سَــأَلْتَهُ
مِنْ الْعُذْرِ مَـرْدُودٌ لَـدَىٰ كُـلِّ فِطْـرَةِ
فَأَنْــتَ تَعِيــبُ الطَّــاعِنِينَ جَمِــيعَهُمْ
عَلَيْــكَ وَتَــرْمِيهِمْ بِكُــلِّ مَذَمَّــةِ
وَتَنْحَــلُ مَــنْ وَالَاكَ صَــفْوَ مَــوَدَّةٍ
وَتُبْغِضُ مَنْ نَـاوَاكَ مِـنْ كُـلِّ فِرْقَـةِ
وَحَــالُهُمُ فِــي كُــلِّ قَــوْلٍ وَفِعْلَــةٍ
كَحَالِــكَ يَــا هَــذَا بِــأَرْجَح حُجَّــةِ
وَهَبْكَ كَفَفْـتَ اللَّـوْمَ عَـنْ كُـلِّ كَـافِرٍ
وَكُـلِّ غَـوِيٍّ خَـارِج عَـنْ مَحَجَّـةِ
فَيَلْزَمُـكَ الْإِعْـرَاضُ عَـنْ كُـلِّ ظَـالِمٍ
عَلَى النَّاسِ فِي نَفْسٍ وَمَالٍ وَحُرْمَـةِ

وَلَا تَغْضَبَنْ يَوْمًا عَلَى سَافِكٍ دَمًا
وَلَا سَارِقٍ مَالًا لِصَاحِبِ فَاقَةِ
وَلَا شَاتِمٍ عِرْضًا مَصُونًا وَإِنْ عَلَا
وَلَا نَاكِحٍ فَرْجًا عَلَى وَجْهِ غِيَّةِ
وَلَا قَاطِعٍ لِلنَّاسِ نَهْجَ سَبِيلِهِمْ
وَلَا مُفْسِدٍ فِي الْأَرْضِ فِي كُلِّ
وَلَا شَاهِدٍ بِالزُّورِ إِفْكًا وَفِرْيَةً
وَلَا قَاذِفٍ لِلْمُحْصَنَاتِ بِزَنْيَةِ
وَلَا مُهْلِكٍ لِلْحَرْثِ وَالنَّسْلِ عَامِدًا
وَلَا حَاكِمٍ لِلْعَالَمِينَ بِرِشْوَةِ
وَكُفَّ لِسَانَ اللَّوْمِ عَنْ كُلِّ مُفْسِدٍ
وَلَا تَأْخُذَنْ ذَا جرمة بِعُقُوبَةِ
وَسَهِّلْ سَبِيلَ الْكَاذِبِينَ تَعَمُّدًا
عَلَى رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ جَاءٍ بِفِرْيَةِ
وَإِنْ قَصَدُوا إِضْلَالَ مَنْ يَسْتَجِيبُهُمْ
بِرَوْمِ فَسَادِ النَّوْعِ ثُمَّ الرِّيَاسَةِ
وَجَادِلْ عَنْ الْمَلْعُونِ فِرْعَوْنَ إِذْ طَغَى
فَأُغْرِقَ فِي الْيَمِّ انْتِقَامًا بِغَضْبَةِ
وَكُلِّ كَفُورٍ مُشْرِكٍ بِإِلَهِهِ
وَآخَرَ طَاغٍ كَافِرٍ بِنُبُوَّةِ

كَعَـــادٍ ونمـــروذ وَقَـــوْمِ لِـــصَالِح
وَقَوْمِ لِنُوح ثُـمَّ أَصْـحَابِ الايْكَـةِ
وَخَاصِمْ لِمُوسَىٰ ثُـمَّ سَـائِرِ مَـنْ أَتَـىٰ
مِـنَ الْأَنْبِيَـاءِ مُحْيِيًـا لِلـشَّرِيعَةِ
عَلَىٰ كَوْنِهِمْ قَدْ جَاهَدُوا النَّاسَ إِذْ بَغَوْا
وَنَالُوا مِنْ الْعَاصِي بَلِيغَ الْعُقُوبَـةِ
وَإِلَّا فكُـلُّ الْخَلْـقِ فِـي كُـلِّ لَفْظَـةٍ
وَلَحْظَـةِ عَـيْنٍ ، أَوْ تَحَـرُّكِ شَـعْرَةِ
وَبَطْـشَةِ كَـفٍّ ، أَوْ تَخَطِّـي قُدَيْمَـةٍ
وَكُـلُّ حِـرَاكٍ بَـلْ وَكُـلُّ سَـكِينَةِ
همـو تَحْـتَ أَقْـدَارِ الْإِلَـهِ وَحُكْمِـهِ
كَمَـا أَنْـتَ فِيمَـا قَـدْ أَتَيْـتَ بِحُجَّـةِ
وَهَبْكَ رَفَعْـتَ اللَّـوْمَ عَـنْ كُـلِّ فَاعِـلٍ
فِعَـالَ رَدَىٰ طَـرْدًا لهـذي الْمَقِيـسَةِ
فَهَـلْ مُمْكِـنٌ رَفْـعُ الْمَـلَام جَمِيعِـهِ
عَنْ النَّاسِ طُـرًّا عِنْـدَ كُـلِّ قَبِيحَـةِ ؟
وَتَـرْكُ عُقُوبَـاتِ الَّـذِينَ قَـدْ اعْتَـدَوْا
وَتَرْكُ الْوَرَىٰ الْإِنْصَافَ بَيْنَ الرَّعِيَّـةِ
فَـلَا تُـضْمَنَنْ نَفْـسٌ وَمَـالٌ بِمِثْلِـهِ
وَلَا يُعْقَـبَنْ عَـادٍ بِمِثْـلِ الْجَرِيمَـةِ

وَهَلْ فِي عُقُولِ النَّاسِ أَوْ فِي طِبَاعِهِمْ
قَبُولٌ لِقَوْلِ النَّذْلِ ما وَجْهُ حِيلَتِي ؟
وَيَكْفِيكَ نَقْضًا مَا بِجِسْمِ ابْنِ آدَم
صَبِيٍّ وَمَجْنُونٍ وَكُلِّ بَهِيمَةِ
مِنْ الْأَلَمِ الْمَقْضِيِّ فِي غَيْرِ حِيلَةٍ
وَفِيمَا يَشَاءُ اللَّهُ أَكْمَلُ حِكْمَةِ
إِذَا كَانَ فِي هَذَا لَهُ حِكْمَةٌ فَمَا
يُظَنُّ بِخَلْقِ الْفِعْلِ ثُمَّ الْعُقُوبَةِ ؟
وَكَيْفَ وَمِنْ هَذَا عَذَابٌ مُوَلَّدٌ
عَنْ الْفِعْلِ فِعْلِ الْعَبْدِ عِنْدَ الطَّبِيعَةِ ؟
كَآكِلِ سُمٍّ أَوْجَبَ الْمَوْتَ أَكْلُهُ
وَكُلٌّ بِتَقْدِيرٍ لِرَبِّ الْبَرِيَّةِ
فَكُفْرُكَ يَا هَذَا كَسُمٍّ أَكَلْتَهُ
وَتَعْذِيبُ نَارٍ مِثْلُ جَرْعَةِ غُصَّةِ
أَلَسْتَ تَرَىٰ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَنْ جَنَىٰ
يُعَاقَبُ إِمَّا بالقضا أَوْ بِشِرْعَةِ ؟
وَلَا عُذْرَ لِلْجَانِي بِتَقْدِيرِ خَالِقٍ
كَذَلِكَ فِي الْأُخْرَىٰ بِلا مَثْنَوِيَّةِ
وَتَقْدِيرُ رَبِّ الْخَلْقِ لِلذَّنْبِ مُوجِبٌ
لِتَقْدِيرِ عُقْبَى الذَّنْبِ إِلَّا بِتَوْبَةِ

وَمَا كَانَ مِنْ جِنْسِ الْمَتَابِ لِرَفْعِهِ
عَوَاقِبُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ الْخَبِيثَةِ
كَخَيْرٍ بِهِ تُمْحَى الذُّنُوبُ وَدَعْوَةٍ
تُجَابُ مِنَ الْجَانِي وَرَبِّ شَفَاعَةِ
وَقَوْلُ حَلِيفِ الشَّرِّ : إِنِّي مُقَدَّرٌ
عَلَيَّ كَقَوْلِ الذِّئْبِ : هذي طَبِيعَتِي
وَتَقْدِيرُهُ لِلْفِعْلِ يَجْلِبُ نِقْمَةً
كَتَقْدِيرِهِ الْأَشْيَاءَ طَرًّا بِعِلَّةِ
فَهَلْ يَنْفَعَنْ عُذْرُ الْمَلُوم بِأَنَّهُ
كَذَا طَبْعُهُ أَمْ هَلْ يُقَالُ لِعَثْرَةِ ؟
أَمِ الذَّمُّ وَالتَّعْذِيبُ أَوْكَدُ لِلَّذِي
طَبِيعَتُهُ فِعْلُ الشُّرُورِ الشَّنِيعَةِ ؟
فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ تُجَابَ بِمَا عَسَىٰ
يُنَجِّيكَ مِنْ نَارِ الْإِلَـٰهِ الْعَظِيمَةِ
فَدُونَكَ رَبُّ الْخَلْقِ فَاقْصِدْهُ ضَارِعًا
مُرِيدًا لِأَنْ يَهْدِيَكَ نَحْوَ الْحَقِيقَةِ
وَذَلِّلْ قِيَادَ النَّفْسِ لِلْحَقِّ وَاسْمَعَنْ
وَلَا تُعْرِضَنْ عَنْ فِكْرَةٍ مُسْتَقِيمَةِ
وَمَا بَانَ مِنْ حَقٍّ فَلَا تَتْرُكَنَّهُ
وَلَا تَعْصِ مَنْ يَدْعُو لِأَقْوَمِ شِرْعَةِ

وَدَعْ دِيــنَ ذَا الْعَــادَاتِ لَا تَتْبَعَنَّــهُ
وَعُـجْ عَـنْ سَـبِيلِ الْأُمَّـةِ الْغَـضَبِيَّةِ
وَمَـنْ ضَـلَّ عَـنْ حَـقٍّ فَـلَا تَقْفُوَنَّـهُ
وَزِنْ مَـا عَلَيْـهِ النَّـاسُ بالمعدليـة
هُنَالِـكَ تَبْـدُو طَالِعَـاتٌ مِـنَ الْهُـدَىٰ
تُبَـشِّرُ مَـنْ قَـدْ جَـاءَ بِالْحَنِفِيَّـةِ
بِمِلَّـــةِ إِبْـــرَاهِيمَ ذَاكَ إِمَامُنَـــا
وَدِيــنِ رَسُــولِ اللَّـهِ خَيْـرِ الْبَرِيَّـةِ
فَلَا يَقْبَلُ الـرَّحْمَنُ دِينًـا سِـوَىٰ الَّـذِي
بِهِ جَاءَتْ الرسـل الْكِـرَامُ الـسَّجِيَّةِ
وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَاشِـرُ الْخَـاتَمُ الَّـذِي
حَوَىٰ كُلَّ خَيْرٍ فِـي عُمُـوم الرِّسَـالَةِ
وَأَخْبَـرَ عَــنْ رَبِّ الْعِبَـادِ بِــأَنَّ مَــنْ
غَدَا عَنْهُ فِي الْأُخْـرَىٰ بِـأَقْبَح خَيْبَـةِ
فهـــذي دلَالَاتُ الْعِبَـــادِ لِحَـــائِرٍ
وَأَمَّـا هُـدَاهُ فَهْـوَ فِعْـلُ الرُّبُوبَـةِ
وَفَقْدُ الْهُدَىٰ عِنْدَ الْـوَرَىٰ لَا يُفِيـدُ مَـنْ
غَدَا عَنْهُ بَلْ يَجْرِي بِلَا وَجْـهِ حُجَّـةِ
وَحُجَّـــةُ مُحْـــتَجٍّ بِتَقْـــدِيرِ رَبِّـــهِ
تَزِيــدُ عَــذَابًا كَاحْتِجَــاج مَرِيــضَةِ

وَأَمَّـــا رِضَـــانَا بِالْقَــضَاءِ فَإِنَّمَـــا
أُمِرْنَا بِـأَنْ نَرْضَـىٰ بِمِثْـلِ الْمُـصِيبَةِ
كَـــسُقْمٍ وَفَقْـــرٍ ثُـــمَّ ذُلٍّ وَغُرْبَـــةٍ
وَمَا كَـانَ مِـنْ مُـؤْذٍ بِـدُونِ جَرِيمَـةِ
فَأَمَّـا الْأَفَاعِيـلُ الَّتِـي كُرِهَـتْ لَنَـا
فَـلَا تُرْتَـضَىٰ مَـسْخُوطَةً لِمَـشِيئَةِ
وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ مِنْ أُولِي الْعِلْـمِ لا رِضًـا
بِفِعْلِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ الْكَبِـيرَةِ
وَقَـــالَ فَرِيـــقٌ نَرْتَـــضِي بِقَــضَائِهِ
وَلَا نَرْتَضِي الْمَقْضِيَّ أَقْبَحَ خَـصْلَةِ
وَقَـــالَ فَرِيـــقٌ نَرْتَـــضِي بِإِضَـــافَةٍ
إِلَيْـــهِ وَمَـــا فِينَـــا فَنُلْقِـــي بِـــسُخْطَةِ
كَمَـــا أَنَّهَـــا لِلـــرَّبِّ خَلْـــقٌ ، وَأَنَّهَـــا
لَمَخْلُوقَةٌ ، لَيْسَتْ كَفِعْـلِ الْغَرِيـزَةِ
فَنَرْضَىٰ مِـنْ الْوَجْـهِ الَّـذِي هُـوَ خَلْقُـهُ
وَنَسْخَطُ مِنْ وَجْهِ اكْتِسَابِ الْخَطِيئَةِ
وَمَعْـــصِيَةُ الْعَبْـــدِ الْمُكَلَّـــفِ تَرْكُـــهُ
لِمَـــا أَمَـــرَ الْمَـــوْلَىٰ وَإِنْ بِمَـــشِيئَةِ
فَـــإِنَّ إِلَـــهَ الْخَلْـــقِ حَـــقٌّ مَقَالُـــهُ
بِـــأَنَّ الْعِبَـــادَ فِـــي جَحِـــيمٍ وَجَنَّـــةِ

كَمَـا أَنَّهُـمْ فِـي هَـذِهِ الـدَّارِ هَكَـذَا
بَلِ الْبُهْمُ فِـي الْآلَام أَيْـضًا وَنِعْمَـةِ
وَحِكْمَتُهُ الْعُلْيَا اقْتَضَتْ مَا اقْتَضَتْ مِنَ
ـفُرُوقٍ بِعِلْـمٍ ثُـمَّ أَيْـدٍ وَرَحْمَـةِ
يَسُوقُ أُولِي التَّعْذِيبِ بِالـسَّبَبِ الَّـذِي
يُقَـدِّرُهُ نَحْـوَ الْعَـذَابِ بِعِـزَّةِ
وَيَهْدِي أُولِـي التَّنْعِيمِ نَحْوَ نَعِيمِهِمْ
بِأَعْمَالِ صِـدْقٍ فِـي رَجَاءٍ وَخَـشْيَةِ
وَأَمْـرُ إِلَـهِ الْخَلْـقِ بَـيَّنَ مَـا بِـهِ
يَسُوقُ أُولِي التَّنْعِيمِ نَحْوَ الـسَّعَادَةِ
فَمَـنْ كَـانَ مِـنْ أَهْـلِ الـسَّعَادَةِ أَثَّـرَتْ
أَوَامِـرُهُ فِيـهِ بِتَيْـسِيرِ صَـنْعَةِ
وَمَنْ كَانَ مِـنْ أَهْـلِ الـشَّقَاوَةِ لَـمْ يَنَـلْ
بِـأَمْرٍ وَلَا نَهْـيٍ بِتَقْـدِيرِ شِـقْوَةِ
وَلَا مُخْـرِجٌ لِلْعَبْـدِ عَمَّـا بِـهِ قَـضَى
وَلَكِنَّـهُ مُخْتَـارُ حُـسْنٍ وَسَـوْأَةِ
فَلَـيْسَ بِمَجْبُـورٍ عَـدِيمِ الْإِرَادَةِ
وَلَكِنَّـهُ شَـاءٍ بِخَلْـقِ الْإِرَادَةِ
وَمِـنْ أَعْجَـبِ الْأَشْـيَاءِ خَلْـقُ مَـشِيئَةٍ
بِهَا صَارَ مُخْتَـارَ الْهُـدَى بِالـضَّلَالَةِ

فَقَوْلُكَ : هَـلْ أَخْتَـارُ تَرْكًـا لِحِكْمَـةٍ ؟
كَقَوْلِكَ : هَلْ أَخْتَارُ تَـرْكَ الْمَـشِيئَةِ
وَأَخْتَـارُ لَا أَخْتَـارُ فِعْـلَ ضَـلَالَةٍ
وَلَوْ نِلْتُ هَـذَا التَّـرْكَ فُزْتُ بِتَوْبَـةِ
وَذَا مُمْكِـنٌ لَكِنَّـهُ مُتَوَقِّـفٌ
عَلَىٰ مَا يَشَاءُ اللَّهُ مِـنْ ذِي الْمَـشِيئَةِ
فَدُونَك فَافْهَمْ مَا بِـهِ قَـدْ أَجَبْت مِـنْ
مَعَـانٍ إِذَا انْحَلَّـتْ بِفَهْـمِ غَرِيـزَةِ
أَشَارَتْ إِلَىٰ أَصْلٍ يُـشِيرُ إِلَـى الْهُـدَىٰ
وَلِلَّـهِ رَبُّ الْخَلْـقِ أَكْمَـلُ مِدْحَـةِ
وَصَـلَّىٰ إِلَـهُ الْخَلْـقِ جَـلَّ جَلَالُـهُ
عَلَـى الْمُـصْطَفَى الْمُخْتَـارِ خَيْـر

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨/ ٢٤٥-٢٥٥)، و«العقود الدرية» (ص٣٩٩-٤٠٩)، وقد شرح هذه المنظومة الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه «الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية»، واستشهد ببيت منها ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٥).

٣- أبيات منظومة في باب الفقه

«أيهما أفضل الحج نافلة أم الصدقة؟» .

سئل شيخ الإسلام :

البحر البسيط

مَاذَا يَقُولُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِـي رَجُـلٍ
آتَاهُ ذُو الْعَرْشِ مَـالًا حَـجَّ وَاعْتَمَـرَا
فَهَزَّهُ الـشَّوْقُ نَحْـوَ الْمُـصْطَفَى
الْحَـجَّ أَفْـضَلَ أَمْ إِيثَـارَهُ الفُقَــرا
أَمْ حَجُّهُ عَنْ أَبِيـهِ ذَاكَ أَفْـضَلُ أَمْ
مَـاذَا الَّـذِي يَـا سَـادَتِي ظَهَـرَا؟
فَافْتُوا مُحِبًّا لَكُمْ قد رام فـديتكم
وَذِكْرُكُمْ دَأْبُـهُ إِنْ غَـابَ أَوْ حَـضَرَا

فأجاب رضي الله عنه نظمًا :

نَقُولُ فِيهِ بِأَنَّ الْحَجَّ أَفْـضَلُ مِـنْ
فِعْـلِ التَّـصَدُّقِ وَالْإِعْطَـاءِ للفُقَـرَا
وَالْحَجُّ عَنْ وَالِدَيْـهِ فِيـهِ بِرُّهُمَـا
وَالْأُمُّ أَسْبَقُ فِـي الْبِـرِّ الَّـذِي ذَكَـرَا

لَكِـنْ إذَا الْفَـرْضُ خَـصَّ الْأَبَ
هُـوَ الْمُقَـدَّمَ فِيمَـا يَمْنَـعُ الـضَّرَرَا
كَمَا إذَا كَانَ مُحْتَاجًـا إلَـىٰ صِـلَةٍ
وَأُمُّـهُ قَـدْ كَفَاهَـا مَـنْ بَـرَا الْبَـشَرَا
هَـذَا جَوَابُـك يَـا هَـذَا مُوَازَنَـةً
وَلَيْسَ مُفْتِيك مَعْدُودًا مِنْ الـشُّعَرَا

***

٣- ألغاز منظومة أجاب عنها بنظم

وسئل عن قوله:

البحر الخفيف

جَـــدَّتي أُمُّـــه وأبي جَـــدُّهُ
وأنـــا عَمَّـــةٌ لــه وَهْــوَ خــالي
أفْتِنـــا يـــا إمـــامُ حمـــاك اللَّه
وَيَكْفيـــكَ حادِثـــاتِ الليـــالي

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

البحر الخفيف(١)

رَجُـــلٌ زَوَّجَ ابنَـــهُ أُمَّ بِنْتَـــهْ
وَأَتَـى البنـتَ بالنكـاح الحـلالِ
فَأتت منـه ببنـت قالـت الـشِّعر
وَقالـت لابـن هاتِيـك خـالي(٢)

---

(١) يلاحظ أن البيت الأول جاء على البحر الخفيف، بينما البيت الثاني جاء على البحر الرمل، وهما وزنان متشابهان، فالخفيف وزنه: فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن (مرتان)، أما الرمل فوزنه: فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن (مرتان).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣١/ ٣٦٦).



وقال في حل لغز نظمه الشيخ رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي، وهذا نص اللغز:

البحر الكامل

ما اسمٌ ثُلاثِيُّ الحروفِ مُثَلَّثُهْ
مِثْلٌ لَهُ، والثُّلْثُ ضِعْفُ جَميعِهِ
والثُّلْثُ الاَخرُ جَوْهَرٌ حَلَّتْ بِه
أَعْراضُ جَمْعًا فاعْجَبُوا لِبَدِيعِهِ
وَهْوَ المُثَلَّثُ جَذْرُهُ مِثْلٌ لَهُ
وَإِذا يُرَبَّعُ بانَ في تَرْبِيعِهِ
جُزْءٌ مِنَ الفَلَكِ العَلِيِّ وَإِنَّما
باقِيهِ خَوْفٌ أَوْ أَمانُ مَرُوعِهِ
حَيٌّ جَمادٌ ساكِنٌ مُتَحَرِّكٌ
إِنْ كُنْتَ ذا نَظَرٍ إِلى تَنْويعِهِ
وَتَراهُ مَعْ خُمْسَيْهِ عِلَّةَ كَوْنِهِ
مَعْلُولُهُ سِرًّا بِغَيْرِ مُذِيعِهِ
وَبِغَيْرِ خُمْسَيْهِ جَميعُ النَّحْوِ مَوْ
جُودٌ وَمَحْمولٌ على مَوْضوعِهِ
وَبِحالِهِ فِعْلٌ مَضَى مُسْتَقْبَلًا
حُمِدَتْ صِناعَتُهُ لِحَمْدِ صَنيعِهِ

قَيْدُ لِمُطْلَقِـهِ خُـصوصُ عُمومِـهِ
زَيْـدُ لِمُفْـرَدِهِ عـلى مَجْمُوعِـهِ
شيءٌ مقـيمٌ في الرحيـل وممكـنٌ
كالمـستحيل ، بطيئـه كـسريعهِ
وأهمُّ ما في الدِّين والشرع اسمهُ
ومـضافهُ بأصـوله وفروعـهِ
ودقيـقُ معنـاه الجليـل مناسـبٌ
علـمَ الخليـل[1] ولـيس مـن
وإذا عَـروضيٌّ تطلَّـبَ حَلَّـه
ألفـاه في المفـروق أو مجموعـهِ
وإذا يرصِّـعُه بـدُرٍّ فريـدهِ
عِقـدًا يـزينُ الـدُّرَّ في ترصـيعهِ
للمنطقـى وللحكـيم نتاجـه
وعلاجـه بذهابـه ورجوعـهِ
ولـه شـعارٌ أشـعريٌّ واعتقـا
دُ حنـبليٌّ فـاعجبوا لوقوعـهِ
وتمامُـه في قـول شـاعر كنـدةٍ
مـا حـافظٌ للعهـد مثلَ مـضيعهِ
يرويـك في ظمـأٍ بـدا بـوروده
ويُريك في ظُلَمِ هُـدًىٰ بطلوعـهِ

(١) هو علم العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد .

ولقد حللت اللغز إجمالاً وفي
تفصيله تفصيلُ روض ربيعهِ
فاسْتَجْلِ بِكراً من وليٍّ بالحُلى
تُهدىٰ لكُفْءِ الفضل بينَ

فأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية :

يا عالِمًا قَدْ فاقَ أَهْلَ زَمانِهِ
بفُنونِهِ وَبيَانِهِ وَبَدِيعِهِ
وَغَدَا لأعْلام العُلوم مَنارَهُمْ
يَهْدِي الهُداةَ إلىٰ مُنيرِ رُبُوعِهِ
وَأجادَ نَظْمًا عِقْدَ جِيدِ عَقِيله
مِنْ دُرِّ بَحْرِ العِلْم فِي تَرْصِيعِهِ
وَجَلا المَعارِفَ في عَوارِفِ لَفْظِهِ
أَخْذًا لِعُرْفِ العِلْم مِنْ يُنْبُوعِهِ
وَأَبانَ عَمَّا قَدْ حَوىٰ مِنْ كُلِّ فَـ
ـنٍّ قَدْ أَحاطَ بأَصْلِهِ وَفُرُوعِهِ
ببَيَانِهِ السِّحْرُ الحَلالُ وَلَفْظُهُ
العَذْبُ الزُّلالُ وَلَفْظُ حُسْن صَنِيعِهِ
بغَزِير عِلْمٍ وَافْتِنانٍ واسِع
أَلْغَزْتَ عِلْمًا في فُنونٍ وَسِيعِهِ
حَلَّيْتَهُ بِدَقِيقِ وَصْفٍ صُنْتَهُ
بِجَلِيل لَفْظٍ ناءَ عَنْ مَوْضُوعِهِ

وَوَصَفْتَهُ بِحُلَى العلوم وأَهْلِها
وَنَعَتَّهُ بِضُرُوبِهِ وَضُرُوعِهِ
وَجَمَعْتَ في أَوْصافِهِ الأَضْدا
دَ حَتَّى اسْتَيْأَسَ الطلابُ مِنْ تَتْبِيعِهِ
وَالْعَبْدُ لَمَّا أَنْ تَأَمَّلَ نَظْمَكُمْ
بِنِظامِهِ أُلْقِى لَهُ فِى رَوْعِهِ
أَنَّ الذي أَلْغَزْتُمُ «عِلْمٌ» وَلَمَّا
يَجْعَلِ المَظْنونَ مِنْ مَقْطوعِهِ
لَكِنَّهُ أَمْسىٰ يُحَلِّيهِ بِمَا
حَلَّيْتَهُ، وَيَغُوصُ في تَوْقِيعِهِ
حَتَّىٰ تَجَلَّى الحَقُّ مِنْ ظَلْمائِهِ
في لَيْلَةٍ مِنْ قَبْلِ وَقْتِ هُجُوعِهِ
فَإِذا الذي قَدْ عَنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ
حَقٌّ تَبَلَّجَ فَجْرُهُ بِطُلوعِهِ
وَرَأَيْتُ فِيهِ الوَصْفَ إِمَّا بادِيًا
أَوْ خافِيًا مَعْناهُ في مَسْمُوعِهِ
لِدَقيقِ مَغْزَاهُ وَلُطْفِ إِشارَةٍ
وَبُعْدِ حَلاهُ عَنْ مَوْضوعِهِ(١)
فَغَدَوْتُ أَكْشِفُ عَنْهُ كَشْفًا
بِإِشارَةٍ تَهْدي لِشَطْرِ بَقِيعِهِ

(١) كذا بالأصل، وليحرر، ولعل الصواب: وَلِبُعْدِ حَلِّ حَلَاهُ عَنْ مَوْضُوعِهِ.

فاسْمَعْ لِحَـلِّ حَـلاهُ في تَفْـصِيلِهِ
وَاشْـهَدْ بِقَلْـبٍ مُقْبِـلٍ بِهُطُوعِـهِ
«العِلْمُ» لَفْـظٌ ذُو ثَلاثَـةِ أَحْـرُفٍ
وَهِجـاءِ كُـلٍّ مِثْـل مـا مَجْمُوعِـهِ
فَـإِذا يَكـونُ مُرَكَّبـا مِـنْ تِـسْعَةٍ
جَــذْرًا لَهــا فَــانْظُرْ إلى تَرْبِيعِــهِ
وَمُرَبَّعًــا ســاواهُ جَـذْرُ حِـسابِهِ
وَمُثَلَّثًــا بِحُــدُودِهِ وَضُــلُوعِهِ
وَيَكــونُ أَثْلاثًــا فَثُلْــثٌ مِثْلُــهُ
هُـوَ لَامُـهُ إِنْ خُضْتَ في تَوْزِيعِـهِ
والمِيمُ في الجُمَـلِ الكبيـرِ حـسابُه
هـو أربعـون بقَـولِ أَهْـلِ رَبيعِـهِ
والميمُ في الجُمْل الصغيرِ حـسابُه
عِـشرون ، هـذا الثُّلْـثُ ضِـعْفُ
والثُّلْـثُ عَـيْنٌ ، عَـيْنُ كُـلِّ ذاتُـه
هـــو جَـــوْهَرٌ ، والوصـــفُ في
إِذْ كانت الأعيـانُ قائمـةً بهـا الْ
أَعْراضُ جَمْعًا ، فـافطِنوا لجُموعِـهِ
حُكْمٌ يَخُصّ العينَ حَرْفًا واحـدًا
مِنْ بينِ جِنْس الحَرْفِ في تَنْويعِـهِ

هو تِـسْعَة في أصـله والعـالم الـــ
ـــعلوِيُّ مِنْــهُ تِــسْعَةٌ بِرُقِيِّــهِ
العَرْشُ والكُرْسِيُّ والسبْعُ السمـ
ـواتُ الطِّباقُ، فَالِاسْمُ جُزْءُ رَفِيعِهِ
مِــنْ عــالَمِ المَلَكُــوتِ، أَعْنــي
عَنْـهُ كُنِـي، لِعُلُـوِّ شَـأْنِ صَـنيعِهِ
لَــمْ يَبْــقَ إِلا جَنَّــةٌ أَوْ جــاحِمٌ
فيــهِ المخافَــةُ، أَوْ أَمــانٌ مَروعِــهِ
بــالعِلْمِ يُحْيــي اللَّهُ قَلْبًــا مَيِّتًــا
يَسْرِي كَنُورٍ ضـاءَ حـينَ سُـطوعِهِ
فَلِأَنَّه يُحْيِي اسْمُهُ حَـيٌّ، إِذِ الْـــ
أَحْيــاءُ فَــرْعُ حيــاةِ رَبِّ صَـنيعِهِ
ولِأَنَّــهُ يَــسْري اســمُه مُتَحَــرِّكٌ
لَوْحًــا تَنَقَّلَــهُ بِــذِهْنِ قَرِيعِــهِ
ذا الوصْفُ عَقْلِـيٌّ، وفي حِـسِّيِّهِ
هُـوَ جامِـدٌ، هُـوَ سـاكِنٌ بِرُبُوعِـهِ
إِذْ كانَ نوعُ العِلْمِ مَعْنَـى جِنْسِهِ
عَرَضٌ يقومُ بمُـسْتوى مَوْضـوعِهِ
والحَيُّ والمُتَحَرِّكُ الوَصْفانِ يَخْــ
ـتـصانِ شخـصًا جَـوْهَرًا ببَقِيعِـهِ

إذْ كان في المَحْسوس لَيْس بقائِم
عَــرَضٌ بــآخرَ مِثْلــهِ وَتَبيعِــهِ
أَمَّــا إذا مــا جُــرِّدَ المَعْقــولُ فالْــ
ــوَصْفان في المعنــىٰ لــه برَبيعِــهِ
ثُلْثـاهُ حَرْفـا العَـيْن والمِـيم هُـما
في اللفـظِ مِـنْ عَـدَم وفي تَنْويعِـهِ
لَوْ إذْ جَمَعْتَ حسابَه في أَكْثَـر (١)
وَأَضَــفْتَ خُمْــسَيْهِ إلىٰ مَجْموعِــهِ
فَمُرَبَّعًــا يَــضْحىٰ، وَيَــضْحَىٰ
مــعْ أربــع عــشرًا لِــذِي تَرْبيعِــهِ
فالجَــذرُ عِلَّتُــه ومَعْلــولٌ لــه
مِـنْ حيـث مـا هـو عِلَّـةٌ لِوُقوعِـهِ
فالجَــذْرُ معلــولٌ لِجَــذْرٍ كــائن
مَعْلُولُــه، فــافهمْ مــدارَ رَجيعِــهِ
فَلِكَوْنِــهِ معلــولَ معلــولٍ لــه
قــد صــار مَعْلــولًا لــه برُجوعِــهِ
ويقولُ إنَّ العلم منه النَّحْوُ، هــ
ــذا إنْ تُردْ حَمْـلًا علىٰ مَوْضـوعِهِ
فإذا يكونُ الضَّمُّ عِلَّـةَ كـون هــ
ــذا الجمـع عِلَّـةَ نَفْسِه وجميعِـهِ

وبغَـيرِ خُمْـسَيْهِ يعـودُ لأِصـلِه
علمًا ، وعلمُ النَّحوِ بعضُ فروعِـهِ
وإذا اعتـبرتَ حروفَـه أَلْفَيْتَـهُ
فِعْـلًا مـضىٰ لغـةً وفي مَوضـوعِهِ :
حُكْمٌ على المُسْتَقْبَلاتِ وغَيْرِهـا
لِعُمُومِـهِ مُتَعَلِّقًـا وذُيُوعِـهِ
إِذْ مِـنْ خَصائِـصِهِ تَعَلُّقُـهُ بِكُـلِّ
مُحَقَّـقٍ مَـعْ سَـبْقِهِ لِوُقُوعِـهِ
أَكْـرِمْ بِـهِ أَمْـرًا عَظيمًـا نَفْعُـهُ
حُمِـدَتْ صِناعَتُه بِحَمْـدِ صنيعِهِ
والفِعْـلُ فيـه مَـصْدَرٌ وزَمانُـه
وُضِـعَا ومَلْـزومٌ لِـرَبِّ صَـنيعِهِ
فَلِـذاكَ كـانَ مُقَيَّـدًا ومُخَصَّـصًا
لعُمـوم جِـنْسِ العِلْـمِ في تَنْوِيعِـهِ
هو مُفْرَدٌ نَوْعٌ حَـوَىٰ أَشْخاصَـهُ
فـإذا تَرَكَّـبَ خُـصَّ في تَجْميعِـهِ
فَيَـصِحُّ حينئـذٍ مقالـةُ قائـلٍ :
قـد زادَ مُفْـرَدُهُ عـلىٰ مَجْمُوعِـهِ
هو ثابـتٌ في كُـلِّ حـالٍ مُمْكِـنٌ
ذو عِـزَّةٍ صـعبٌ عـلىٰ مُـسْطِيعِهِ

حتى يُنالَ فَيَحْمَدَ القومُ السُّرى
وإذا يُقالُ بَطيئُه كسَرِيعِهِ
فالبُطْءُ والإِسْراعُ ليسَ بِنَفْسِهِ
بَلْ في الطريقِ وفي اقْتِناصِ مَنِيعِهِ
والعِلْمُ بالرَّحْمنِ أولُ صاحِبٍ
وأَهَمُّ فَرْضِ اللَّهِ في مَشْرُوعِهِ
وأَخو الدِّيانَةِ طالِبٌ لِمَزيدِهِ
أَبَدًا ولَمَّا يَنْهِهِ بِقُطُوعِهِ
والمرءُ فاقَتُه إليهِ أَشَدُّ مِنْ
فَقْرِ الغِذاءِ لِعِلْمِ حُكْمِ صَنِيعِهِ
في كلِّ وَقْتٍ ، والطعامُ فإِنَّما
يَحْتاجُهُ في وَقْتِ شِدَّةِ جُوعِهِ
وهو السبيل إلى المحاسِن كُلِّها
والصالحاتِ ، فَسَوْأَةً لِمُضِيعِهِ
وإليه يُسْنَدُ كُلُّ فَنٍّ نافِعٍ
بل فارِعٌ بِأُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ
لجَلالَةِ المَعْلُوم واللُّطْفِ الذي
لِلْعِلْمِ كان مُناسِبًا لِبَدِيعِهِ
فالعِلْمُ مِيزانُ الحقائقِ والعَرُو
ضُ كذاكَ مِيزانٌ لَدى تَقْطِيعِهِ

والاِسْمُ بالتَّحْريكِ[1] مِنْ مَفْروقِهِ
والفِّعْلُ بالتَّسْكينِ مِنْ مَجْموعِهِ
هو واسطٌ عِقْدِ الفضائلِ كُلِّها
وبِهِ يُزانُ الحِلْيُ في تَرْصِيعِهِ
وعِلاجُهُ بالجِدِّ في تَحْصِيلِهِ
بِمُقَدِّماتِ نِتاجِهِ ويُنُوعِهِ
ولِكُلِّ قَوْمٍ مِنْهُ حَظٌّ وافِرٌ
وحقائقُ التَّحقيقِ في مَشْرُوعِه
بشعائرٍ لَمَشَاعِرٍ وقَوَاعِدٍ
لعقائدِ المَعْقولِ في مَسْمُوعِهِ
وجَميعُه مُتَفرِّقٌ في قَوْلِهِ
ما حافظٌ لِلْعَهْدِ مثلَ مُضيعِهِ
فَلِعَيْنِهِ ولِلامِهِ ولِميمِهِ
مِنْ ذا الكلام الحظُّ في تَبْضيعِهِ
يُرْوىٰ بِماءِ حياتِه في وِرْدِهِ
ظمآنُ تحقيقٍ إلىٰ يُنْبُوعِهِ
ويرىٰ بِنُورِ هُداهُ في تَبْيينِهِ
حَيرانُ تدقيقٍ طُلُوعَ سَطِيعِهِ

فَطلُوعُــهُ لَمَّــا أَبــانَ بِنُــورِهِ
قَـصَدَ الـسبيلَ لحـلِّ عقـدِ بَدِيعِـهِ
جَلَّـى المُجَلِّـي بَعْـدَ بُعْـدِ بُـدُوِّهِ
مَعْ قُرْبِ مَقْفَلِه وقُرْبِ مُـسُوعِهِ[1]
وأَبـانَ مُجْمَلَـهُ، وفَـصَّلَ عِقْـدَهُ
ولِرَوْضِه الأَنُـفِ ارْتَعَـى بِرُتُوعِـهِ
وَحَلَى جَمالَ البكْرِ في حَلْيِ الحُلَى
فافتَـضَّها كُـفْءٌ ثَـوَتْ بِرُبُوعِـهِ
فَخُذِ الجوابَ مُخَلَّصًا فيـه اللُّبـا
بَ مُلَخَّـصًا في نَظْمِـهِ لِـسَمِيعِهِ
مَعَ أنَّ نَظْمَ الشِّعْرِ غَيْـرُ مُحَـصِّلٍ
لِكَــمالِ مَغْــزاهُ وَشَــرْحِ جَمِيعِـهِ
مِـنْ خـاطِرٍ مُـسْتَعْجِلٍ مُـسْتَوْفِزٍ
لَـمْ يُمْعِـنِ التَّفْكِـيرَ في مَرْجُوعِـهِ
لَمْ يَجْعَلِ التَّحْلِيلَ مِنْ مَـصْنُوعِهِ
كَلَّا، ولا الفَضَلاتِ مِنْ مَـصْنُوعِهِ
إِذْ كـانَ مَخْلُوقًـا لِأَكـبرِ غايَـةٍ
دارِ القَــرارِ جَميلِــهِ وقَطِيعِــهِ

---

(١) في «القاموس»: المسع -بكسر الميم: اسم ريح الشمال، والمسعي -بفتح الميم وتشديد الياء: الرجل الكثير السير القوي.

وعَلَيْـهِ مِــنْ أَمْـرِ الإِلـهِ ونَهْيِـهِ
مـا يَلْفِـتُ المَعْقـولَ عـنْ تَـضْيِيعِهِ
لَكِنَّـهُ لا بــد لِلْمَــصْدُورِ مِــنْ
نَفْــثٍ يُــرِيحُ فُــؤَادَهَ بِنُخُوعِــهِ
مَعْ أَنَّهُ مُزْجَى البِضاعَةِ نَظْمُـهُ
غِـرٌّ بِحُكْـمِ اللَّفْـظِ في تَـسْجِيعِهِ
عَبْـدٌ ذليـلٌ عـاجِزٌ مُتَـضَعِّفٌ
في حـالِ مَبْـداهُ وحـالِ رُجُوعِـهِ
لَكِنَّـــهُ لمـــا اسْـــتعانَ بِرَبِّـــهِ
ثُـمَّ اسْـتكانَ لَـهُ بِـذُلِّ خُضُوعِهِ
فأَعانَهُ يُسْرُ الجـوابِ فَـإِنْ يَكُـنْ
حَقًّـا بِرِفْـقِ الوصـفِ في تَوْقِيعِـهِ
فالحَمْدُ والفـضلُ العظـيمُ لِرَبِّـنا
شُكْرًا على مَحْمودِ حُسْنِ صَنِيعِهِ
إِذْ مـا بنـا مِـنْ نِعْمَـةٍ فَبِمَنِّـهِ
والخَيْـرُ مِنْـهُ جَميعُـهُ بِهُمُوعِـهِ
أَوْ إِنْ يَكُنْ خطأ فَمِنِّي حيثُ أَنْ
لَــمْ أَسْـتَطِعْ مُتَنــاوِلًا لِرَفِيعِــهِ
فالنَقْصُ للإِنـسانِ وَصْـفٌ لازِمٌ
إِنْ كـان يَعْـرِفُ نَفْـسَهُ بِنُخُوعِـهِ

والحَمْـــدُ للَّهِ الـــرحيمِ بِخَلْقِــهِ
البَـــرُّ الـــوَدودُ بِعَبْـــدِهِ ومُطِيعِـــهِ
ومُيْسِر الخَطْـبِ العَـسيرِ بِلُطْفِـهِ
مِـــنْ بَعْـــدِ مِنْعَتِـــهِ وبَعْـــدِ مَنِيعِـــهِ
ثُــم الــصَّلاةُ علـى النَّبـي وآلِـهِ
والمُـصْطَفَيْنَ مِـنَ الأَنـام جمِيعِـهِ
وعلــيهمُ التــسليمُ مِنَّـا دائِمًـا
مــا اهْتَـــزَّ وَجْـــهُ الأَرْض بَعْـــدِ

* * *

(١) «العقود الدرية» (ص٢٩-٣٧)، والهوامش من حاشيتها.

٤- أبيات منظومة في أغراض متفرقة

[تضرع إلى الله وافتقار إليه]

البحر البسيط

أنـــا الفقـــيرُ إلى رَبِّ البَرِيَّـــاتِ
أنا المُسَيكِينُ في مَجْمـوع حـالاتي
أنـــا الظَّلُـــومُ لِنَفْـــسِى ، وهْـــى
والخَيْـرُ إنْ يَأتِنـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَـاتِى
لا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِى جَلَـبَ مَنْفَعَـةٍ
ولا عَن النَّفْس لي دَفْـعُ المَـضَرَّاتِ
ولَيْسَ لي دُونَـهُ مَـوْلًى يُـدَبِّرُنِى
وَلا شَـفِيعٌ إذا حاطَـتْ خَطِيئـاتِى
إلَّا بـإذْنٍ مِـنَ الـرَّحْمَن خالِقِنـا
إلى الشَّفِيع ، كما قَدْ جا في الايـاتِ
ولَسْتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا
ولا شريـكٌ أنـا في بَعْـض ذَرَّاتِ
ولا ظَهِير لـه ، كـى يَـسْتَعِينَ بـهِ
كـما يَكُـونُ لِأربـاب الولايـاتِ
والفَقْرُ لي وَصْفُ ذاتٍ لازمٌ أبدًا
كما الغنى أَبَـدًا وصـفٌ لَـهُ ذاتِـي

وهَذِهِ الحالُ حالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ
وكُلُّهُـمْ عِنْـدَهُ عَبْـدٌ لَـهُ آتِـي
فَمَنْ بَغَىٰ مَطْلَبًا مِنْ غَيْـرِ خالِقِـهِ
هوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ المُشْركُ العـاتِي
والحَمْدُ للهِ مِلْءَ الكَـوْنِ أَجْمِعِـهِ
ما كان مِنْهُ وما مِنْ بَعْدُ قَدْ ياتِي(١)

[نظم قوله ﷺ: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات»]

البحر الطويل

عَلَيْـكَ بِخَـوْفِ اللهِ في الـسِّرِّ
وبالقَصْدِ لِلإنْفـاقِ في العُسْر واليُسْر
وبالعَـدْلِ إنْ تَغْـضَبْ وإنْ تَـكُ
فَهُـنَّ ثَـلاثٌ مُنْجِيـاتٌ مِـنَ الـشَّرِّ
وإياكَ والشُّحَّ المُطـاعَ ولا تَكُـنْ
بِمُتَّبِـعِ الأَهْـوا فتَرْجِـعَ بالخُـسْر
وعَدِّ عَنِ الإعْجاب بالنَّفْس إنَّـهُ
خِتامُ الثلاثِ المُهْلِكاتِ لَدَىٰ الحَشْر(٢)

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٥٢٥، ٤٤٠)، و(٢/ ٤٤٠)، و«العقود الدرية» لابن عبد الهادي (ص٣٩١)، والبيت الأخير منه، و«المنهج الأحمد» (٥/ ٣٩)، وفيه: أنه قالها قبل موته بأيام.

(٢) «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه» لابن حبيب (٢/ ١٨٧).

[ذم المتصوفة]

ومن نظمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ على لسان الفقراء ذمًّا لهم:

البحر البسيط المجزوء

واللَّهِ مـــا فقْرُنـــا اختيـــارُ
وإنـــما فقْرُنـــا اضـــطرارُ
جَمَاعَـــةٌ كُلُّنـــا كُـــسالى
وأَكْلُنـــا مـــا لـــه عِيـــارُ
تَـــسْمَعُ مِنَّـــا إذا اجْتَمَعْنـــا
حَقِيقَـــةً كُلُّهـــا فَـــشَارُ(١)

[الحمد والثناء على الله]

البحر السريع

إِنَّ للَّهِ علينـــــا أَنْعُـــــما
يَعْجِـزُ الحَـصْرُ عَـنِ العَـدِّ لَهَـا
فَلَـــهُ الحَمْـــدُ عـــلى أَنْعُمِـــهِ
وَلَهُ الحَمْدُ على الـشُّكْرِ لَهَـا(٢)

(١) «الوافي بالوفيات» للصفدي (٧/ ٣٠)، وعنه «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ١٦٠).
(٢) «العقود الدرية» (ص٣٩٢).

[لا عبرة باللقب الباطل إذا صح المعتقد]

البحر الكامل

إِنْ كــان نَــصْبًا حُــبُّ صَــحْبِ
فَلْيَشْهَدِ الثَّقلانِ أَنِّــي ناصِــبِي[1]

* * *

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٨٨).

٥- الأبيات التي كان يتمثل بها كثيرًا وليست له

*** كان يتمثل كثيرًا بهذا البيت :**

البحر السريع

أنــا المُكــدِّي وابــنُ المُكــدِّي
وهكــذا كــان أبي وجــدِّي[(١)]

*** وكان أيضًا كثيرًا ما ينشد :**

البحر المتقارب

تمــوتُ النُّفــوسُ بأَوْصــابِها
ولمْ تــشكُ عُوَّادَهــا مــا بِهــا
ومــا أَنْــصَفَتْ مُهْجَــةٌ تَــشْتَكي
هَواهــا إلى غَيْــرِ أَحْبابِهــا[(٢)]

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٥٢٤).

هذا البيت كان شيخ الإسلام يتمثل به : تصغيرًا لشأن نفسه ، وأنه لا شيء .

والمكدِّي : قليل الخير ، ينظر «لسان العرب» (١٥/ ٢١٦) .

(٢) «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٢) .

* وكان ينشد كثيرًا :

البحر الكامل

من لم يَقُدْ ويدسُّ في خيشومِهِ
رهج الخميس فلن يقود

* وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت :

من البحر الوافر

وليس يَصِحُّ في الأَذْهانِ شيءٌ
إذا احتاجَ النهارُ إلى دليل[٢]

* وكان يتمثل كثيرًا بقول الشاعر :

من البحر الطويل

عوى الذئبُ فاسْتَأْنَسْتُ بالذِّئْب إذْ
وصوَّتَ إنْسانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ[٣]

* وكان يتمثل أيضًا بقول الشاعر :

من البحر الطويل

وأَخْرُجُ مِنْ بين البُيُوتِ لَعَلَّني
أُحَدِّثُ عَنْك النَّفْسَ في السِّرِّ

(١) «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٢).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٦٠).
(٣) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (ص٦٩).

* **وكان يتمثل أيضًا بقول الشاعر :**

من البحر الرجز

مَــنْ لي بِمِثْــل سَــيْركَ المُــدَلَّل

تمْـشي رُوَيْـدًا وَتَجِـي فِـي الأَوَّلِ

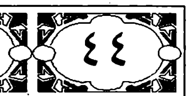
هذا البيت ذكره في «الرد الوافر» (ص٨٥) عن القلانسي أنه سمع ابن تيمية يقول . . . فذكره .

وأما ابن القيم فقد ذكر البيت في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٣٠٢) فقال عن البيت : وهذا موقع المثل المشهور . اهـ ، فلم ينسبه لابن تيمية .

والذي يظهر أن البيت مما ينشده ابن تيمية كثيرًا وليس له .

* * *

(١) المصدر السابق (ص٦٩) .



فهرس الموضوعات

❋ ❋ ❋